المحاضرة 3 أ.**حساين**

الارهاصات الأولى للفكر الاجتماعي المنظم

أولا–الحضارة اليونانية:

تفوَّق علماء الفكر اليوناني على علماء الشرق القديم لاستخدامهم القانون العلمي والبرهان المنطقي، مما جعل الكثير من الباحثين يؤكدون أن بواكر الفكر الاجتماعي بدأ عند اليونان.بلغت الحياة الفكرية عند اليونان القمة بظهور الفيلسوفين أفلاطون وأرسطو.لكن ظهرت فئة من المفكرين مهدت نشأت هذا الفكر الاجتماعي المنظم وهم **السفسطائيون** ،إذ كانت الفلسفة السفسطائية تحمل بين طياتها تحليلا اجتماعيا واقعيا نقذيا يناهض التصورات الميتافيزيقية المجردة، ويطالب بالواقع الاجتماعي، وقد نبهت مناقشات السفسطائيون فيما بينهم أذهان المفكرين ووجهتهم نحو التفكير والتأمل في الظواهر الاجتماعية، ووسط هذا المناخ الفكري ظهر الفكر الأفلاطوني المثالي.

1–:الفلسفة السفسطائية:

في عهد سقراط ظهرت فئة من رواد الفكر الاجتماعي الجدلي في صورته البدائية وكان اسمهم السفسطائيين هذه الكلمة مأخوذة من كلمة sophiste المشتقة من sophia والتي تعني " الحكمة "، ظهر السفسطائيون في القرن 5 ق.م، وهم جماعة من الأساتذة يتلقون أجرا مقابل تعليم شباب أثينا فن الخطاب والجدال كان مصد

ر قوتهم " الكلمة" أهم ما نادت به الفلسفة السفسطائية

- كانوا أول من نبه إلى قيمة التربية وأهميتها في إرشاد النشء
- لفتوا النظر لأهمية اللغة في الجدل وضرورة تحري دقة الألفاظ

- حددوا بعض الموضوعات كعلم السياسة والاجتماع والتاريخ، هل الدولة أو المجتمع نظام طبيعي تلقائي أم وضعي تحكمي؟
- كانت حافز في ظهور أكبر المدارس الفلسفية في بلاد اليونان
- تبنيهم لمشاكل المجتمع، هدفهم إقامة مجتمع عادل

أهم مبادئهم:

العالم دائم الحركة، يتميز بالتبدل والتغير المستمر فلا يمكن للأشياء أن تبقى على حال واحد

البشر سواسية، يرون أن جميع البشر يملكون نفس الاستعدادات الفكرية والذهنية فمن حقهم الطموح إلى ممارسة السياسة

مبدأ العدل يعد قيمة من القيم الاجتماعية التي أنتجها البشر.

يقول ويل ديورانتWill Durant في كتابه "قصة الفلسفة": ...ولكن التطور العظيم الخصيب في الفلسفة اليونانية اتخذ شكلا له في السفسطائين معلمي الحكمة المتجولين والطوافين، الذين وجهوا اهتمامهم إلى طبيعتهم وأفكارهم بدلا من توجيهه إلى عالم الأشياء. وكانوا جميعا من أهل البراعة والحذق، ونخص بالذكر منهم على سبيل المثال جورجياسوهيباس وكان الكثير منهم على جانب كبير من الإدراك والعمق مثل بروتاغوراسوبروديقوس ومن النادر أن تجد مشكلة أو حلا في فلسفتنا الحالية العقلية والمسلكية، لم يتحققوا منه أو يتناولوه بالبحث، لقد وجهوا أسئلة على كل شيء، ووقفوا بلا وجل أمام الحرمات الدينية والسياسية وأخضعوا كل عقيدة ونظام ومذهب للعقل "

2-أفلاطون (427-347) ق.م:

هو مؤسس الجامعة أفلاطونية وهي أول جامعة في العالم وكان يدرس فيها الفلسفة، والرياضيات، والموسيقى، كما احتوى كتابه " **الجمهورية**" على بحوث كثيرة متصلة بالدراسات الاجتماعية وكان هدفه في هذا المؤلف أن يقرر الأصول الضرورية والتخطيط الأمثل للجمهورية

الفاضلة التي تزول عنها الشرور والآثام السائدة في هذا الوقت، وتقوم على الفضيلة وتظللها العدالة وتشرف عليها حكومة الفلاسفة. ورأى أفلاطون أنه لا يمكن تأسيس المدينة الفاضلة إلا إذا التزم المجتمع بالبناء الطبقي الذي تصوره، "فرأى أن الفلاسفة والحكماء هم الذين يمثلون الطبقة العليا أي طبقة الحكم لكونهم أعلم بالحكمة والفضيلة والأقدر على سياسة الشعب وفق قيم العدالة والمساواة، أما طبقة الصناع والفلاحين فهم يقومون بوظيفة تأمين المجتمع وتوفير العيش الرغيد لكل من طبقة الحكام والجنود، أما طبقة الجنود تمثلت مسؤوليتهم في الدفاع عن حدود البلاد، وهو بهذا التقسيم رأى أن المدينة الفاضلة وحدة مكونة من أجزاء شأنها في ذلك شأن الجسم الإنساني الذي يتكون من أعضاء لكل منها وظيفته الخاصة وتختلف أعضاء الجسم من حيث وظائفها وأدائها، ولكنها ترتبط ببعضها ارتباطا عضويا وثيقا، فرأى أن يقوم الفلاسفة والحكماء مقام الرأس من جسم الإنسان ويطلق عليه نعت الحكمة، ويقوم المحاربون مقام القلب ونعتهم الأساسي الشجاعة، أما طبقة الزراع التجار الصناع فيرتبط وجودهم بالشهوات المادية"[1].

ختاما تعتبر آراء أفلاطون الفلسفية سواء التي انبثقت عن الواقع الاجتماعي أو تلك الأفكار المثالية عن أهمية الفكر الاجتماعي اليوناني القديم من بواكر الفكر الاجتماعي المنظم، فقد اهتم أفلاطون بالعديد من الجوانب التي مست الفرد والأسرة والتنشئة الاجتماعية، الأخلاقية، والنظم الاقتصادية والسياسية والتغير وإشباع الحاجات وتقسيم العمل حسب طبقات المجتمع وغيرها من الأمور ما يدل على أهمية الفكر الواقعي المثالي الأفلاطوني[2].

كانت لأفلاطون نظرة شيوعية (للأسرة نظام التربية في مؤسسات حكومية) وكانت تصوراته للمدينة الفاضلة مثالية أي خيالية.

---

[1] ينظر، نبيل عبد الحميد عبد الجبار، تاريخ الفكر الاجتماعي،دار الدجلة،دط، 2009،ص 45-46

[2] عبد الله محمد عبد الرحمان، علم الاجتماع- النشأة والتطور-، دار المعرفة الجامعيةالإسكندرية،، ص19

3 –أرسطو طاليس (384-322) ق.م:

اتسم الفكر الأفلاطوني بالمثالية المفرطة، عكس تلميذه أرسطو الذي اتسمت كتاباته بالواقعية والوضعية، فكانت لديه عدد من المبادئ الاجتماعية التي تعتبر من المسلمات، فهو يرى أن الإنسان حيوان اجتماعي سياسي بمعنى أن الإنسان يستحيل أن يعيش بمعزل عن المجتمع، وكذلك قوله بأن الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأولى وهي أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة، وأن الحياة الإنسانية لا يمكن أن تتحقق بوجه صحيح إلا في ظل الأسرة والتي وظيفتها إشباع الحاجات اليومية عند أفرادها، ومن أهم كتبه وأشهرها كتاب "**السياسة**" الذي عرض فيه نظريته في شؤون السياسة والاجتماع، وكان أرسطو وضعيا في كتاباته الاجتماعية بحيث يصف ويشرح ثم يحاول الكشف على أوجه النقص والفساد[3]. ومن أهم الجوانب التي عالجها أرسطو هي:

1- المجتمع السياسي ومقوماته
2- الأسرة
3- دراسة لقواعد التربية
4- آراءه في الرق
5- الحكومة الملائمة
6- المجتمع الفاضل.

لقد استطاع أرسطو أكثر من غيره أن يبحث في أهم المسائل التي عالجها علم الاجتماع فيما بعد غير أنه لم يدرسه بشكل مستقل بل اعتبر هذه الموضوعات مدخلا لنظرية الدولة.

تصور أرسطو للمدينة الفاضلة

[3]-ينظر،جاستونبوتول، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة جلال حسن صادق، تاريخ علم الاجتماع،من الشرق والغرب،دط،دت، ص15

- ✓ يجب أن تكون تربتها خصبة، ويسهل استغلالها وتكون محصنة ضد غارات الأعداء وهجماتهم.
- ✓ من حيث المساحة يتوجب أن تتناسب مع حاجات المواطنين
- ✓ حدد الحد الأمثل للمدينة بمئة ألف نسمة وللحفاظ على هذا العدد أباح أرسطو (الإجهاض، إعدام الأطفال المشوهين وفاسدي الأخلاق، تحريم الزواج على الشيوخ ومن بلغ عمره 50 سنة)
- ✓ حدد البناء الطبقي

1-طبقة الحكماء ورجال القضاء

2-طبقة رجال الدين

3-طبقة الأغنياء

4-طبقة الزراع والصناع ورجال الفن الجنود.

4-الفلسفة الرواقية:

الرواقية stoicism (333-264) ق.م مدرسة فلسفية اعتمدت على تعاليم زينون الرواقي، ازدهرت في القرن الرابع قبيل الميلاد واستمرت حتى القرن الرابع ميلادي

إيمانهم الشديد بقدرة (مدبر الكون) وشعورهم بأن الحياة رسالة كلفوا بأدائها، فشبهوا الحياة بمسرح والبشر بممثلين لهم أدوار يقومون بها كل على حسب ما كتب له "عظيما أو تافها سعيدا أو شقيا" فالحياة الطبيعية معناها التسليم بإرادة الرب.

نظر الرواقيون للإنسان على أنه ابن الرب وقد وهبه الرب العقل والكلام والقدرة على التميز بين الخطأ والصواب، فصاروا بهذا المبدأ إخوة، رأى الرواقيون أن الإيمان بالرب هو الإيمان بقيمة الأهداف

الاجتماعية وبمسؤولية الإنسان الصالح وعلى هذا الأساس نشأت الدولة العالمية، لها دستور وهو العقل المنزه عن الخطأ (وهو القانون الطبيعي)، وهو المقياس في كل مكان لما هو حق وعدل (قانون الرب).

وظل الرواقيون الأوائل يؤمنون بأن اليونان والبرابرة والأشراف والعامة والأحرار والعبيد والأغنياء والفقراء كلهم سواسية وما يفرقهم هو أن يكون إنسان عاقل أو إنسان يفتقر العقل. لقد قلل الرواقيون من قيمة الفوارق الاجتماعية بين البشر ولكنهم أعطوا أولوية للنظام القانوني العالمي الذي يتكون من قانونين هما قانون العادات (لكل مدينة) وقانون العقل الذي يحكم الجميع[4].

هدف الفلسفة الرواقية هي فكرة الأخوة الإنسانية العالمية الموحدة في ظل عدل يتسع ليشمل الجميع كما قدمت نظرة أخرى وهو أن البشر متساوون في الطبيعة رغم اختلافهم في الجنس والمرتبة والثروة.

5-خلاصة:

يتجلى الفكر الاجتماعي عند اليونان في كتاب أفلاطون " الجمهورية الفاضلة" وكتاب "السياسة" لأرسطو، فلقد كان المجتمع اليوناني القديم مقسما إلى دويلات صغيرة متناظرة ومتقاسمة وكانت هناك حرب شرسة بين آثينا وإسبانيا ونتيجة هذا التأزم الاجتماعي، أراد **أفلاطون** تأسيس مجتمع خيالي أي أراد البحث فيما ينبغي أن يكون وقد أطلق على هذا المجتمع الجديد الجمهورية الفاضلة وقسمها إلى ثلاثة طبقات رئيسية ولكل طبقة فضيلتها ومقرها وتتمثل فيما يلي:

- ✓ **طبقة الفلاسفة:** وهم الحكماء وقادة الجمهورية يهتمون بالأمور السياسية وفضيلتها الحكمة والفطنة، ومقرها العقل
- ✓ **طبقة الجنود:** يقومون بالدفاع عن الجمهورية وحمايتها من الخطر الخارجي وفضيلتها الشجاعة ومقرها القلب.
- ✓ **طبقة العمال والمزارعين والصناع:** ينتجون الخيرات المادية وفضيلتها العفة ويترتب عن وجود هذه الفضائل الثلاثة فضيلة رابعة تتمثل في العدالة

[4] ينظر، تاريخ الفكر الاجتماعي،ص66

أما أرسطو فيقوم فكره الاجتماعي على ما يلي:

- ✓ الإنسان كائن اجتماعي ومدني بطبعه
- ✓ الأسرة هي النواة الأساسية للمجتمع
- ✓ الدولة هي الإطار السياسي للمدينة
- ✓ تنظيم المجتمع بواسطة القوانين.

ختاما فإنه يمكن القول بأنه ما من شك في أن الفكر الاجتماعي اليوناني رغم احتوائه على بعض جوانب النقص، إلا أنه يمثل تطورا كبيرا في تاريخ الفكر الإنساني، من حيث الموضوعات التي ناقشها، واتساع مجالاته، وتنظيمه.

جل الفلسفات التي ظهرت بعد أرسطو كانت تدعو إلى توفير الاكتفاء الذاتي وتحقيق السعادة للفرد.